دراسات في الحكمة والمنهج

تأليف
السيد عمار أبو رغيف

www.ketab.ir

www.ketab.ir

دار الفقه للطباعة والنشر
اسم الكتاب : دراسات في الحكمة والمنهج
المؤلف : السيّد عمّار أبورغيف
تاريخ الطبع : الأولى ـ ١٤٢٦ هـ. ق ـ ١٣٨٤ هـ. ش
عدد المطبوع : ١٠٠٠ نسخة
المطبعة : برهان
السعر : ٥٥٠٠ تومان
شابك : ٦ ـ ٠١٩ ـ ٤٩٩ ـ ٩٦٤ ISBN 964-499-019-6
ص.ب. ٣٦٦٣ ـ ٣٧١٨٥ ـ تلفن: ٧٧٣٤٨٧٣ ـ ٢٥١ ـ ٩٨+

المقدمة

هذه مجموعة مقالات من متناثر ما كتبته. لم افكر قبل اليوم بلمِّ شتاتها؛ انما هي صلة الارحام بين الافكار الحّت على صاحبها ـ وهو يكتب في العقل العملي وما يفرضه من واجبات ـ ان يعيد التواصل مع النائي من انتاجه، فيقرأ تطور الافكار، لا اقل عبر ما تيسّر بالفعل من بحوث جادة، اصبحت جزءً من تاريخ صاحبها. وهذا الالحاح يمكن لمراقب ان يُخرجه من دائرة العقلانية واحكام الواجب الموضوعية، فيقول انه دافع ذاتي. وليكن كذلك، متمنياً لرواد الثقافة والفكر ولنفسي ان تكون ذواتنا مندفعة باتجاه نشر المعرفة وقراءة تاريخها. فيتسنى لها ميدان تعزف فيه ـ على الاقل ـ عن الشر، والحاق الاذى بالآخرين؛ هذا وانا على ايمانٍ راسخ ان هناك نفوساً طالما اصغت للنداء العلوي، فعدلت في كيلها واكتيالها، بل تتعالى عن الاستيفاء في الثاني، وتتجاوز عما هو حق لها في الاول.

اجل؛ بين يدينا مجموعة تشتّتت عبر التاريخ، فقد كُتبت عبر زهاء اثنتي عشرة سنة، من عجاف السنين، التي كان قدر جلها ان تكون سنين شتات، لا زلنا نرزح تحت وطأة تعسف احكامه. والملفت لنظري ان اجد فيها درساً عن الحب

www.ketab.ir

الالهي والجمال والتجربة الروحية عبر قلوب المؤمنين، الى جانب الجاد من دروس في الحكمة والمنهج. وتشتت عبر الجغرافيا ايضاً، فقد أنجز قسم منها على ظهر الكوفة، وفي فوهة الصحراء في ارض النجف الاشرف من العراق، هذه الارض التي اتوق ان تكون مثواي الاخير ـ على الاقل ـ فارقد فيها الى جنب اسلافي. وأنجز القسم الاكبر منها بين الجبال والثلج، واتذكر ان درجة الحرارة تجاوزت في بعض أيام اقامتي العلمية في خراسان السابعة عشرة تحت الصفر.

فياتُرى على اي اساس تجمّعَ هذا الشتات في الصورة الماثلة، هل اجتمع اجتماع الرمال والثلوج، ام اجتماع الصحراء والجبال، ام ماذا ... ولحظات التاريخ تصرّم، لا يلتقي اولها بآخرها؟ لابد ان يكون لجامعها اساس جامع، فيما يحسب، وهذا لا يسوّغ ان تقتنع معه بجدوى هذا الجامع، دون ان نطل جميعاً على ملاحظات وصفية لمفرداتها، لنخلص معاً الى ما يمكن ان يكون مسوّغاً لجمعها في مقاييس المالوف من مناهج البحث:

وقعت الدراسة الاولى تحت عنوان «نظرية الادراك البشري». وقد كان اهتمامي بهذه الدراسة نتيجة ملاحظتي لفجوة في دراسات من اشرت لهم ببعض الرواد، حيث كنت اعني دراسة الادراك في كتابي «فلسفتنا» و«اصول الفلسفة والمنهج الواقعي» للسيدين الصدر والطباطبائي. فالبحث في هاتين الدراستين عالج نظرية المنعكس الشرطي، في ضوء معطيات المدرسة السلوكية. ومن ثم لم يتوفر على معالجة موثقة لدراسات عالم النفس الروسي «بافلوف»، الذي اضحت نظرياته اساساً علمياً للماركسية، فيما تشبثت به من علوم. وقد اطلعت على كتاب (اصول الفلسفة) في ضوء ترجمة الشيخ جعفر سبحاني لمقالة الادراك، من مقالات هذا الكتاب.

لقد اتاح لي تشخيص هذه الفجوة الاهتمام البالغ الذي كنا نوليه لكتاب

«فلسفتنا». مضافاً الى ان دراستي في مرحلة ما بعد المتوسطة تركزت على علوم النفس والتربية، وقد حظيت في تلك المرحلة بتوجيه احد رجال هذا الحقل الحيوي، توجيهاً امتزج بعاطفة القرابة وصلة الرحم، حيث كان ابن عمي الخبير التربوي الدكتور جعفر ابو رغيف معلمي آنذاك، وللحق والتاريخ ان لهذا الرجل الاثر الاول المهم في تكويني العقلي؛ رغم ان قسوة ما احاط بنا لم تتح لنا اللقاء منذ ربع قرن تقريباً.

وعندما قررت الدخول الى ميدان البحث في الادراك هرعت آنذاك اليه، وسالته عن افضل ما كتب في ميدان الادراك ونظرية بافلوف، فارشدني الى كتابات الدكتور نوري جعفر، التي افدت كثيراً منها.

لقد عالجت هذا الموضوع ـ كما هو واضح للمتابع البصير ـ وانا تلميذ مدرسة العقل المعرفية، التي لبست ثوب المذهب الذاتي المطروح في الاسس المنطقية للاستقراء. وقد كانت روح الاختزال، ونقد النظرية بعد فهمها من الداخل، ومحاولة تمييز المصادرات عن النتائج ... سمات واضحة في ما كتبته، ولكن ـ بغض النظر عن سلامة وصحة المنهج والنتائج ـ ما انتهيت من انجاز البحث، الذي كتبته بوهج الشباب، الا وخامرني الشعور بضرورة اعادة النظر فيه، ومتابعة ما لم يقع بيدي من دراسات، كنت أُقدّر ـ لاهمية البحث وحيويته ـ انها قد أُنجزت.

وتمر الايام سريعةً عاصفةً، فتطيح بآمال الشباب، وتقطّع على العقل سياق المتابعة والدرس اشلاء، كلما حاولنا لملمتها عادت الايام تجدد عصفها وتقطيعها، وكانها رياح موسمية، تخرم قانونها؛ اذ تتابع هذه المرة اصحابها، لصيقةً بهم، وان تغيّر الاقليم ...

على اي حال، لعلنا نتوفر على فرصة اعادة النظر في هذا الموضوع الحيوي،

www.ketab.ir

فنقرأه في ضوءٍ آخر قراءةً جادة ايضاً. واعود هنا لاوضح ما جاء في مقدمة طبعته الاولى، كتبرير لنشره دون تعديل او تحوير، حيث قلت «انه سجل لحقبة وجيل».

نعم حينما تصفحت هذا البحث بعد عودة غير متوقعة هزني فيه: ان الموؤد القتيل المشرد ليس هو الشخص وحده، بل هناك تيار من حركة فكرية مخلصة جادة، كانت ترعاها عبقرية (دون شك) استشهدت، دون ان يشارك فكرُها اخلاصَها وجدَّها في تحمل مسؤولية ما وقع!

وقد جاء البحث الثاني «مدخل منهجي لدراسة النظرية التربوية في الاسلام» صنو سلفه، في الولادة وفي النشأة، فقد ولد في فوهة الصحراء، وكان نتيجةً لتفاعل سياقين فكريين، سياق الحكمة والعقل، ومعطيات البحوث التربوية والنفسية المعاصرة. لكنه حمل هماً مبكراً امام مجموعة من الاشكاليات المنهجية المعرفية، اشكالية ادلجة العلوم، التي تعرف اليوم في اوساط الاسلاميين «اسلمة المعرفة»؛ فافتى بعدم مشروعيتها! واشكالية طرح فلسفة اسلامية تربوية معاصرة، تنطلق في رؤاها العامة من الاسلام، منسجمة مع التطورات التي حملتها تجارب الانسانية ومخابر البحث العلمي الحديث؛ ودعا الى العمل على طرح هذه الفلسفة واستنباطها.

اما البحث الثالث فهو ردٌ على نقدٍ لكتاب «فلسفتنا»، هذا الكتاب الذي لعب دوراً كبيراً في جدل الافكار ضمن محيطنا، وخلال العقد السابع والثامن من القرن الميلادي الراهن. وهذا الرد ثاني ردين حملا اسم كاتب هذه السطور، كان الرد الاول حاملاً لاسمي، دون ان يكون لي دورٌ اساسي فيه، سوى في اعادة صياغته. لقد كان مضمون الرد محرراً بقلم استاذنا الشهيد الصدر، وطلب مني ان اعيد صياغته لينشر باسمي. وقمت بما طلب، وانا على وعيٍ تام بما يعنيه الدفاع

www.ketab.ir

عن فلسفتنا وفكر السيد محمد باقر الصدر آنذاك! كان ذلك في عام ١٩٧٣، ونشر الرد في نفس المجلة، التي نشرت النقد (الثقافة ـ التي يصدرها صلاح خالص ـ في بغداد)، وهي مجلة ماركسية!

وبعد ثمانية اعوام، وبعد استشهاد العبقري الفيلسوف، نشر الماركسيون العراقيون في مهجرهم[1] نقداً على كتابه «فلسفتنا»، ومن غريب الاقدار ان يحمل لي النقد، ويطلب مني الرد عليه نفس الشخص الذي حمل بيده الرد الاول، وسلمّني اياه بعد ان استلمه مباشرةً من السيد الصدر! فتحمست لكتابة الرد، ونشره كمقال في احدى المجلات، كما نشر على شكل كرّاس مستقل.

عدت هذه الايام لاقرأ هذا الرد قراءة تغفر لايام الشباب هفواتها التي لاحظتها، ولكن لفتت نظري ظاهرة في هذا الرد، وحملتني على التفكير في تفسيرها: لقد لاح لي بوضوح ان روحاً من القمع والقمع المضاد تسود حوارنا مع الناقد، الذي كانت ادواته اضعف من ادوات تلامذة «فلسفتنا». فعلامَ هذه الروح في بحث يطلب الحقيقة؟ ولو كنا جادين في طلب الحقيقة، التي تتعالى بطبيعتها على المصلحة، فهل هناك حافزٌ للقمع ومسوّغٌ للاضطهاد؟

كانت الماركسية فيما طرحت من اسئلة، جرعة حيوية لاعادة النظر وبعث الحيوية الفكرية. لكن اسوأ ما يمكن ان يكون، فيما تركته من آثار، روح القطيعة بين مذاهب الفكر، هذه الروح التي تحيا في ظل قطعيتها، وتكبرها غير المشروع، وخلطها الدائم بين الحقيقة والمصلحة.

جاء البحث الرابع نقلةً من عالم المعرفة والعقل الى عالم العرفان

(١) نعم اجتمعنا وخصومنا الفكريين (حلفاء النظام في السابق) في المهجر، لاننا كنا نريد فك الحديد بـ «البردي». وليس ذلك بدعة، فاسلافنا في ثورة العشرين حاربوا المدفع «الطوب» بعصيهم «المگوار»!

www.ketab.ir

والوجدان، هذا العالم الذي لا يختلف عن عالم المعرفة والعقل في اشتراك الامم والشعوب، على اختلاف مذاهبهم ونحلهم، في ممارسته والتحليق في آفاقه. لكنني قد اخترت قبل ست عشرة سنة حكيماً من الغرب، فلم ادرس العرفان كظاهرة، ولم اعالج مدرسةً من مدارسه، ولم يقع اختياري على عارف شرقي او مسلم!

الانني كنت حادساً ان العرفان لا ياتي اطاراً مدرسياً واحداً موحداً، على غرار وحدة مدارس المعرفة وفلسفة العقل؟ لعلني كنت حادساً ما اراه اليوم بوضوح: ان العرفان تجربة انسانية، تتعدد التجارب الاصيلة فيه تبعاً لتعدد رواده، ولا يتوفر على الوحدة المدرسية التي يمكن ان تتوفر عليها نظريات المعرفة، وفلسفات العقل؛ ذلك لانه يرتبط اساساً بذات العارف، بل هوية العرفان في ذاتيته. حيث تشق كل ذات اصيلة طريقها الخاص في هذا العالم.

ولعلني (في اختياري فيلسوفاً غربياً) كنت مصمماً على التمرد وعصيان روح القطيعة الماركسية بين مذاهب الفكر.

عدت اليوم الى قراءة هذا البحث، فلفت انتباهي التاكيد الذي تضمنه على ضرورة اتيان الافكار من داخلها! وهذا معيار منهجي سليم، تعلمته، ووقفت على اهميته، من خلال الهفوات التي كبت فيها بعض الدراسات، حينما اغفلت هذا المقياس، ومن خلال ما لمست من نجاح احرزته بعض الدراسات الاخرى، التي مارست عملها متطابقة مع هذا المقياس.

لكنني لاحظت عبر قراءة هذا البحث ان الالتفات الى سلامة المقياس ليس اساساً وافياً لاحراز النجاح المستهدف؛ انما ترتهن درجة النجاح بدرجة المران والدربة والموضوعية، التي يتوفر عليها الباحث. هذا المران الذي افتقر اليه درسنا لـ«كارل ياسبرز»؛ اذ وجدت عقل الباحث قد تسلطت عليه ـ رغم ملاحظته

لمقياس فهم الافكار من الداخل ـ مبادئ وقواعد الحكمة العقلية، اتخذها مقياساً في التقويم، بل حتى في الفهم.

اما البحث الخامس فقد كان ترجمة لاطلالة كتبها الفيلسوف العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي حول صدر الدين الشيرازي ومنهجه الفلسفي. وهي اولى ترجماتي من اللغة الفارسية، التي تعلمتها من اهلها، فيما قُدر لنا ان يكون مهجرا. وبغض النظر عما توفرت عليه اطلالة العلامة الطباطبائي هذه من ملاحظات دقيقة وشاملة عن فلسفة ومنهج صدر المتألهين الشيرازي؛ فان اختيار فلسفة الشيرازي واختيار الطباطبائي متحدثاً عنها امر يُلفت الانتباه، ويستدعي الحديث عن اهمية هذا الاختيار وخطورته:

الشيرازي زعيم مدرسة اصفهان، هذه المدرسة التي استوعبت «النص» و«العقل» و «الوجدان»، ولعبت دوراً اساسياً في تشكيل المعتقد الامامي في القرون الاخيرة، واثرت بشكلٍ بالغ على مناهج الاستنباط الفقهي؛ فضلاً عن السيطرة شبه المطلقة، التي يمارسها عقل الشيرازي على حوزة البحث العقلي في شرق العالم الاسلامي. اما الطباطبائي فهو الوريث المعاصر لهذه المدرسة، الذي لعب دوراً رئيسياً في تظهير معالمها والاجتهاد في ارجائها. حيث يمثل رجال الحلقة الاخيرة من حكماء ايران ـ في الاعم الاغلب ـ تلامذة الطباطبائي[٢].

وقد جاء البحث اللاحق «نظرية الجمال» ترجمةً من اللغة الفارسية، ولباحثٍ ذي اثر في الادب والحكمة والعرفان المعاصر، وهو الاستاذ «محمد تقي جعفري». ولاريب في ان الجمال موضوع من مواضيع التامل الانساني، التي

(٢) عالجت هذا الموضوع بشكلٍ اكثر تفصيلاً في مقدمتي لترجمة كتاب «اصول الفلسفة والمنهج الواقعي».

www.ketab.ir

ترتبط بارتباط وثيق مع الحياة، والالهيات، والعرفان، والحكمة، ولا تنفصل ابحاثه، بل تختلط في بعض الاحيان بابحاث الحكمة العملية.

اما البحث الآخر فهو درس في فكر محمد اقبال اللاهوري، عبر قراءة دراسته المشهورة بـ«تجديد او احياء الفكر الديني في الاسلام». لقد قرأت اقبال قبل اربعة عشر عاماً، وانا انظر اليه من زاوية المذهب العقلي في المعرفة البشرية، واتعامل مع عرفانه وتصوفه بحذر، لكنني اليوم اجد الانصاف والمصلحة مجتمعة على الدعوة لاعادة قراءة «اقبال» من زاوية اخرى.

فالانصاف يقتضينا ان نبدأ في قراءة الرجل من حيث اصوله الثقافية ومعطياته الداخلية، من عرفان العجم، حيث فريد الدين العطار وجلال الدين الرومي ... من تصوف الهنود ومنحدره البرهمي ... من اداة التعبير الملائمة، من الشعر والخطاب الحي.

والمصلحة تدفعنا الى اعادة النظر في مشروع اقبال الاحيائي، واقفين على جوهر دعوة هذا المصلح المبكر، الذي لا يزال يلعب دوراً واضحاً في مشاريع الاحياء والتجديد (في شرق العالم الاسلامي على الاقل).

وهناك من يعزو الاهتمام في قراءة «اقبال» الى اهتمام الغرب بهذا الرجل، لكنه خاطئ في هذا الحكم خطأ من لم يتعرف على اقبال، ولم يقرأه قراءة جادة، وهو عازف عن رؤية وجه اساسي من وجوه حركة التجديد المعاصرة في العالم الاسلامي.

ثم جاء البحث الثامن متمثلاً في مقال عاجل سجلت فيه ملاحظة اساسية حول المنهج، وهي ملاحظة تطال «اقبال»، وتطال بشكل اكبر اولئك الذين يبتغون التعرف على الحقيقة من اضيق زوايا النظر اليها.

ووقع البحث التالي في «نظرية المعرفة»، حيث قارن بين اتجاهي حكيمين

www.ketab.ir

من الحكماء المعاصرين، صدرا من معطيات ثقافية متقاربة، وانتهيا الى نتائج مختلفة. ولو اتيح لي اليوم ـ اي بعد اثني عشر عاماً ـ ان اكتب هذا البحث من جديد فسوف يخرج في صورة مغايرة للبحث القائم؛ لكنني لا ازال مقتنعاً بالهدف الذي ارتسمته في هذا البحث، وهو ان البحث في المعرفة الانسانية لم تختمه دراسات الصدر او مطهري، بل على طلاب الحقيقة متابعة مسيرة الراحلين في النقد والتجديد واعادة القراءة.

واود هنا ان اشير الى بعض الملاحظات، التي سمعتها دون ان اتعرف على اصحابها، حيث أثيرت في بعض المحافل، وكنت ولا ازال شديد الرغبة في ان تكتب، وتنشر لكي يتعرف اصحابها على قيمة ما يطرحون، عبر الجدل الايجابي، المثبت على الورق.

اما آخر هذه البحوث فهو ترجمة لدراسة حررها الفيلسوف المعاصر «جلال الدين اشتياني»، وهو احد تلامذة المرحوم العلامة الطباطبائي، واغزرهم انتاجاً، واوضحهم ميلاً لاحياء اتجاهات العرفان النظري. وبحثه تناول نظرية «اصالة الوجود» لدى صدر الدين الشيرازي، مقارناً ما آل اليه موقف الشيرازي في ضوء اصالة الوجود من راي بشان وحدة الوجود مع نظرية العرفاء في هذا المجال.

* * *

هذه مجموعتي المتناثرة، احسب ان الهم العقلي والمنهجي جامع لشتاتها، هذا الهم الذي لا يعرف وطناً بالمفهوم الجغرافي، فيشغل بال ابناء الصحراء ويسكن في وجدان قاطني الجبال وابناء السهول والسواحل. ومجموعتنا شاهد على ذلك، حيث طافت على عقول، تنوعت اوطانها ولغاتها ومذاهبها، تنوعاً جذرياً. انما يجمع بينها هاجس التأمل العقلي، والبحث في المنهج.

www.ketab.ir

ان مد جسور اللقاء بين العقول امر حيوي في اشاعة روح التفاهم الانساني، واساسي ايضاً في اثراء المعرفة واغناء تجارب الشعوب في حقولها المتنوعة. ان روح النهائية والانغلاق المعرفي لا تعود على اصحابها بخير، ان لم تكن اداة من ادوات الانحطاط.

لقد تنبهت الى سوء تفاهم واقع بالفعل بين بعض الاتجاهات الفكرية، حيث نشأ جراء غياب التواصل بين هذه الاتجاهات، فدعوت الى التواصل ونبذ روح القطيعة، واكدت على ضرورة قراءة «مدرسة اصفهان» قراءةً جادة، حيث ان مقاطعة معطياتها في الحكمة والعرفان افضت الى سوء تفاهم، لم يفد احد منه، بل عشش في ظله الدجل، واقبل الحظ على اصحاب الدكاكين!

وهنا اغتنم الفرصة لادعو ايضاً الى قراءة الفكر الغربي قراءةً جادة، بدءً من عمانوئيل كنت وانتهاءً بما آل اليه الوضع الثقافي في عالم الغرب. واؤكد على قراءة الاسس المعرفية، قراءة معمقة شاملة.

ان التفاهم بين التراث واصحابه وبين الحداثة وروادها امر غير متيسر، ما لم نتوفر على قراءة جذور الافكار ونقدها وتمحيصها، هذه الجذور التي غُرس الاساسي منها في مدرسة اصفهان، وغُرس قسم آخر منها على يد فيلسوف النقدية الحديثة «عمانوئيل كنت»، حينئذ سنستطيع ان نتفاهم وان اختلفت رؤانا، سنستطيع ان نعرف ماذا تعنيه صيحات الاحياء والتجديد، وماذا يراد بنقد قراءة النص «هرمونتيك».

والله من وراء القصد

عمار ابو رغيف

www.ketab.ir

نظرية الادراك

كلمة المؤلف

قبل ثمانية عشر عاماً، يوم كان العلم والحق هدفاً نعدو إليه ومنالاً نسعى بالحاح بغية التوفر عليه، كتبت هذه الرسالة. ثم اجبرتني ظروف وطني على تركها هي وطفلتي وامها وحدهم ناجين من المصادرة، رهائن في قسوة الوطن. التحق الاخيران بعد سنة وبقيت هذه الرسالة تخفيها يد امينة، حتى أطلق سراحها هاربة قبل اشهر.

عاد هذا الاثر لي بعد جيلين حملا معهما تغييرات اساسية في الفكر والوجدان، وعدت يوم عاد لي الى تاريخ تلك الحقبة، فلم استطع ان اقرأ فيه ما هو عقلي جاد، بل عدت لاتذكر ان اخي وصديقي «ميثم» كتب لي عظة من الشعر العربي على الصفحة الأولى، فقررت ان تكون مطلع الكتاب، وتذكرت كيف فرح سيدنا الاستاذ يوم طالع هذه الرسالة وكيف شجعني والهمني همة الكبار.

قررت ان تطبع كما هي دون تعديل او تطوير، لانها سجل مرحلة فكرية لجيل وحقبة من الفكر الجاد على ارض النجف الاشرف من العراق، ولان الشهيد

www.ketab.ir

المعلم قال لي دون تحفظ (اطبعها وانا ادفع ما يترتب عليها من كلفة)، فاهديها لروح المعلم الخالد السيد محمد باقر الصدر، ولروح زميلي وأخي الشهيد حسين معن، الذي قراها وعاينها وفرح بها.

عمار ابو رغيف

٢٠/رجب/١٤١٥

www.ketab.ir

المقدمة

يقف انسان حضارتنا في زحمة الصراع السائد والدائم في عالم الافكار متلقياً مستوراداً لمناهج وافكار لا تمت وعروق حضارته بشيء من الصلات، بل هي انتاج حضارة غريبة من حيث الاصل التاريخي والواقع الاجتماعي. في هذا الوقت الذي يتلقى فيه هذا المستورد فكراً، له منهج وانحدار تاريخي يتعارض مع تاريخ حضارته ومنهجها، فهو ياخذ ما ياخذ، منها مأخذ الواثق المطمئن دون تحليل لاصول ما ياخذ وبلا موازنة واختبار لمقدار حقانيته وصدقه المنطقي.

وتحت اغراء ما احرزته حضارة الغرب من تقدم تقني يقطع صلته بحضارته جازماً بعجزها عن التقدم بحلٍّ لمشكلات الحضارة.

وجراء هذه الحالة من التلقي المرضي فان انسان هذا العالم يعيش صراعاً في التطبيق بين المثال الاوربي وواقع حضارته وقيمها، غافلاً عن صراع اعمق بين واقع الصفقة المستوردة وما يعانيه انسان تلك الحضارة من ازمات فكرية تكشف عنها اسواق الفكر الاوربي بما يعلن عنه في قطاعات معروفة من ذلك العالم وما يتغلف في قطاعات اخرى.

www.ketab.ir

وكان الاجدر به ان يمحص انجازات الفكر الاجنبي ببصيرة المتثبت الواثق، فياخذ من اسباب تلك الحضارة ما كان سر النهضة، ويعاف منها ما كان داعياً للضياع والتمزق ويبرمج ما ينتقيه بالشكل الذي يتلائم مع تاريخه وحضارته ليغدو عضوا منسجماً ضمن مركبه الاجتماعي.

واذ نشرع في دراسة مشكلة من مشاكل الفكر المعاصر فاننا نريد ان نستكشف من خلالها شخصيتنا الحقيقية، وذلك بتثوير تراثنا الفكري واستلهامه لنتعرف على طبيعة المساهمة التي قدمها في مجال دراسة هذه المشكلة لنتثبت بالدليل من صدق رواية التفوق الفكري لانسان العالم الغربي، دون ان نغمط له حقاً في انجاز او ابداع، غير مستكبرين في الاستفادة مما انتجته مدارسه من نظريات بناءة لنضعها في خدمة الحق والعلم.

كما سأحاول ساعياً في هذه الدراسة الى الكشف عن الخلفيات الفكرية التي تعتمد العلم في نظرية الادراك لدعم مدارس ونظريات وسمت نفسها بالعلمية لنمحص قدرة بعض البدائل المصدرة على التقدم بحل هذه المشكله الى امام.

وقد وقع الاختيار منذ زمن على مشكلة الادراك لانني اجد فراغاً غير مملوء في اشباع هذا البحث، بل وجدت في ابحاث بعض الرواد احالة على دراسات لم يكتب لها الخروج الى النور.

وللاهمية التي كنت المسها في موضوع هذه المشكلة اندفعت محاولا استيعابها ودراستها عسى ان اوفق للوصول الى نتائج تخدم العلم. وتكون خطوة اخرى في الطريق.

ويجدر بنا ونحن ندخل الى تفاصيل هذه الدراسة ان نمتلك من خلال المقدمة تصوراً عن طبيعة موضوعها، وان نتلمس الطرائق المختلفة التي مارست

www.ketab.ir

التحليل في مادة هذه الدراسة، بغية تحديد مواطن الضعف والقوة في جوانت هذه الاساليب والطرائق لنخرج بتصور واقعي عن طريقتنا في اعداد هذا البحث.

ولابد في مقدمتنا من القاء الضوء على مركز موضوعنا من نظرية المعرفة وما تلقيه نتائجه من آثار وخلفيات في بناء التصور عن الحياة، وذلك باستهداف تحديد الدور العملي لهذه الدراسة واهميتها في ميدان البحث العلمي.

وسوف ندرس هذا التصور ضمن نقاط مرتبة على اساس تداخلها المنهجي.

اولاً: ماذا يعني البحث في الادراك البشري؟

وقبل الاجابة على هذا التساؤل ينبغي الاجابة على تساؤل يسبقه بمرحلة وهو ـ ماذا يعني الادراك البشري الذي نريد البحث عنه؟ والاجابة على هذا الاستفهام جاهزة لدى الانسان الاعتيادي، وذلك انه يعلم بالادراك علماً حاضراً ويلمسه في داخله بوضوح تام.

وقد اعتبر الكوجيتو الديكارتي مسألة الادراك قضية حاضرة بنفسها في غنىً عن البرهنة لوضوحها الذاتي، وهي نقطة البدء في التثبت من قضايا المعرفة البشرية.

وما دام الادراك هو هذا الامر الوجداني الذي يلمسه كل الناس في دواخلهم فاذن ماذا يمارس الدارسون من بحث على ارض الادراك؟ ان ما يمارسه الدارسون هنا تتعدد وجوهه بتعدد الجوانب التي يتناولها الباحثون على اختلاف مجالات اختصاصهم.

فالفسيولوجي حينما يبحث في الادراك انما يتناول الجهاز العصبي البشري واسلوب عمله ابتداءً من العصب الحسي وانتهاءً بارقى مناطق المخ تخصصاً

www.ketab.ir

وعملاً، فيصف لنا ميكانيزم هذه الاجزاء، والتغيرات الفسلجية المصاحبة لحدوث الادراك، والتي تطرأ على ارجاء الجهاز العصبي البشري.

وعلماء النفس حينما يبحثون في الادراك يستهدفون من وراء بحوثهم التحري عن هذه الظاهرة الحاضرة للنفس الانسانية فيحاولون التعرف على طبيعة العلاقة بين الادراك والسلوك الانساني ودراسة الرابطة بين الادراك والتوافق الفردي والاجتماعي. كما انهم يقومون بدراسات للكشف عن امكانات الذهن البشري والاساليب العامة للتكيف الذهني مع البيئة الطبيعية والبشرية. مما تهيء هذه الدراسات لعلماء طرق التدريس المادة الاساس لينتهوا الى معرفة الاساليب التعليمية الاكثر ملائمة مع امكانات الذهن البشري.

والفيلسوف له زاوية اخرى ينظر من خلالها لهذا الموضوع، فهو يحاول اثراء تصورات واقامة احكام يفرضها منظاره الخاص، ليجد فيها الاجابة على المشكلات التي يثيرها هذا المنظار وهي، اين تقوم عملية الادراك؟، ما كنه هذه العملية، هل هي عملية مادية ام لا مادية؟ ما علاقتها بقوانين الحركة؟ ... الخ ويبد الباحث الفلسفي مادة ناجزة تمثلها النتائج التي ينتهي اليها العلماء في فسلجة الادراك، وابحاثهم في نظريات التعلم في علم النفس ـ تشكل ارضية يشتق منّها الفيلسوف القرائن والادلة لبناء منطقه الكلي في تفسير طبيعة الادراك واسسه العامة.

بعد وضوح ان هناك جهات متعددة يُنظر الى موضوع بحثنا من خلالها، فليتضح ايضاً لدى المتابع، ان هذه الجهات المتعددة يمكن ان تتحد في جهود باحث واحد، وذلك قد تمثل فعلاً بجهود المدرسة الفسلجية في علم النفس وانتهت الى نتائج تمثل معتقداً فلسفياً تفسر به ظاهرة الادراك، فحوت في نسيج نظريتها

www.ketab.ir

الفسلجة وعلم النفس والفلسفة.

فزوايا النظر الى ظاهرة الادراك وان تعددت الا انها تتراقد بعضها مع بعض.

ثانياً: ما الفائدة المتوخاة من هذه الدراسة؟

الاجابة الوافية على هذا الاستفهام تتم باكتمال بناء البحث واشباع جوانبه بالدراسة والتحليل، الا انه ينبغي ان ندخل البحث ونحن نمتلك تصوراً اجمالياً ـ على الاقل ـ عن ثماره. من الطبيعي ان ثمرة اي بحث تتحدد على ضوء طبيعة اهدافه وعلى اساسٍ من نتائجه المرجوة. ولنتائج هذا البحث تأثير مباشر على موقعنا المعرفي، كما لها تاثيرها على تحديد التصور العام والسليم عن الموقف من حركة الحياة والتاريخ، ولنقترب بمثال يوضح لنا هذه المسالة:

فلو انتهى بنا البحث الى القول بان عملية الادراك تعبير عن شكلٍ واحد من اشكال الحركة الجدلية للمادة، كما سعت بعض الاتجاهات التي نزمع دراستها لاثبات وتدعيم هذه النتيجة. فعلى ضوء ذلك تترشح لنا نتائج في غاية الاهمية وهي:

أ ـ سنجد في عملية الادراك ذاتها تطبيقاً لقوانين جدلية المادة، وبالتالي يخضع الوعي الانساني خضوعاً حتمياً للتطورات المادية، وسيكون الفكر وليد الحركة المادية في جوهره وحقيقته.

ب ـ يتحدد لنا موقع معرفي، يتسجل لصالح النظرية المادية في المعرفة البشرية بصيغتها الماركسية.

حـ ـ سيتحدد لنا تصور عن مركز الانسان في الحياة والتاريخ يقول: بان

www.ketab.ir

شكل الشخصية الانسانية يتحدد على ضوء طبيعة الظروف المادية المحيطة.

د ـ تفرز لنا هذه النظرية خلفية فلسفية لنظرية تربوية متميزة على اساس الافكار المطروحة عن الانسان وطريقته في التعامل مع الاشياء.

وفي حالة اخفاق هذه المحاولة فان النتائج المترشحة منها سوف تتغير قيمتها، ويتبدل تصورنا عن المعرفة والحياة والتاريخ. ولا يشك احد بما لاثبات مثل هذه النتائج او تزييفها من تأثير بالغ على الموقف العقائدي في حياة المجتمعات البشرية، وما لها من مركز حساس في البحث العلمي.

ثالثاً: البحث في الادراك كما ألمحنا ليس وقفاً على فرع من فروع المعرفة بل ان جملة من العلوم مارست الدراسة والتحليل وبمساحة طيبة في مجال الادراك البشري، فساهمت علوم النفس والفسلجة والتربية وعلم اللغة الى جانب الفلسفة الاب التقليدي لمثل هذه الابحاث.

الا ان عدداً من الابحاث التي البست نفسها ثوب العلمية، غالباً ما كانت تنطلق في الاساس من مواقف قبليه، وتقيم تجاربها وتمارس تحليلاتها بوحي هذه المواقف التي تتخذها مصادرةً ورأس مال.

وهذه نقطة ضعف يجب ان يتخطاها كل العلماء والباحثين الساعين لطلب الحقيقة، فهي نكسة في المنهج لابد ان نربى طلاب العلم على تجاوزها، وان نخلق من انفسنا باحثين علميين يعني ان ننطلق من مسلمة واحدة وحسبنا «الوصول الى الحق اينما حل».

فليس من البحث العلمي في شيء ان يفترض الدارسون فرضيات يبحثوا عن صوابها وهي في واقع الامر مسلمات وخلفيات مفروغ عن صحتها لديهم.

وعلى ضوء هذه البصيرة يتحتم على منهج البحث السليم ان ياخذ ما ياخذ

www.ketab.ir

من امثال هذه المصادر، وهو على حيطةٍ وحذر، مستهدفاً بلوغ الصواب باسلوب يعتمد النزاهة والتحرر.

وعبر رحلتنا في مصادر هذه الدراسة فقد وجدنا من الكتاب من يستخدم اسلوبا مدرسياً في استعراض النظريات والمذاهب المتصارعة، مما ادى ويؤدي الى نتائج غير طبيعية في العرض والدفاع عن المدارس والاتجاهات المتصارعة، والذي يجدر بالكاتب المحايد هو ان يُوفق لاستخدام اسلوبٍ في عرض الافكار والنظريات يلتقي على ارض واحدة مع اصحابها، كما ينبغي بل يتحتم على الباحث المنصف ان يستخدم طريقاً غير مؤدٍ الى مسخ وتشويه افكار الخصوم، وان يرتفع في عرضه وتحليله ومناقشاته الى مستوى الفكرة التي يقوم بعرضها مستوعباً لمادتها متمكناً من فهم مبرراتها، وان يُقبل عليها من داخلها متلمساً روحها الحقيقية من خلال كلمات العلماء المخلصين لهذه الفكرة.

اضافة الى المشاركات العلمية والمدرسية في موضوع دراستنا فقد وقفت المذاهب الفكرية المتصارعة في طليعة هذه المساهمات لارتباطها بمشكلة الثقافة والافكار بشكل مباشر. وسوف يتضح لنا من خلال الفصل التاريخي من دراستنا ان القدم التاريخي لهذا الموضوع وعلاقته المباشرة بالبحث المعرفي والميتافيزيقي ادى الى تعدد النظريات والمذاهب فيه، وتشعبها منذ تفتّح المعرفة البشرية الى يومنا هذا.

والبحث في خضم هذه الدراسات المذهبية والعلمية يتحتم عليه ان يحدد طريقه، فعليه اولاً ان يشبع حاجة القارئ في الاطلاع على اصول الصراع الفكري حول مشكلة الادراك ليقف على بينة من واقع النظريات المعاصرة.

وعليه ثانياً ان يحافظ على طابعه المقترح في ان يكون بحثاً يرتبط بمشكلة الافكار بالقدر الذي يسهم في ايضاح الموقف العقائدي للانسان وهو يبحث عن

www.ketab.ir

تفسير لمشكلة الحياة والتاريخ. لا ان يكون بحثاً اكاديمياً يتناول تاريخ نظرية الادراك باحصاء وعرض المذاهب والمقالات المختلفة في عمق التاريخ الى يومنا.

وايماناً بما علينا في هاتين النقطتين فسنبدأ البحث بفصل نستعرض فيه بتسلسل تاريخي مشكلة الادراك البشري مثبتين في عرض هذا الفصل النظريات المختلفة التي عالجت المشكلة وسيحدد لنا هذا الفصل النقلة التي نعبر بها الى فصول البحث الاخرى، معتمدين على معيار نميز به بين النظرية الهامشية والنظرية الاصيلة التي تستحق الوقوف عندها في الفصول المقبلة على ضوء ما يتبين من تصنيف لمادة هذه الدراسة في الفصل التاريخي.

ويبقى هذا البحث محاولة لا غير، وانا على أمل في توجيه العلماء والمختصين، وعلى استعداد لقبول ملاحظاتهم ونقودهم. طالباً من القاريء الكريم ان يقرأ بعيداً عن الشعارات والاقاويل العاطفية باخلاص وتفهم.

وقد ازددت قناعة وانا انسج خيوط هذا البحث بواقعية رائعة الاصبهاني «اني رأيت انه لا يكتب انسان كتاباً في يومه الا قال في غده لو غير هذا لكان احسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان افضل، ولو ترك هذا لكان اجمل، وهذا من اعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر».

١٩٧٧/٨/٢٣

الموافق ٧ رمضان ١٣٩٧هـ

www.ketab.ir

فهرس المحتويات

المقدمة ٧

نظرية الادراك ١٧

كلمة المؤلف ١٧

المقدمة ١٩

أولاً: ماذا يعني البحث في الادراك البشري؟ ٢١

ثانياً: ما الفائدة المتوخاة من هذه الدراسة؟ ٢٣

الفصل الاول: تاريخ نظرية الادراك ٢٧

الفصل الثاني: المدرسة السلوكية ٤١

الفصل الثالث: مدرسة ارسطو وديكارت ٥٩

تمهيد ٥٩

الفقرة الاولى: مدرسة أرسطو ٦٠

الفقرة الثانية: نظرية رينيه ديكارت ٦٦

www.ketab.ir

تقويم نظرية ديكارت ٦٩
أ ـ موقف دافيد هيوم ٧١
ب ـ موقف عمانوئيل كانت ٧٣
الفقرة الثالثة: المواقف الثانوية من الاتجاه الجوهري ٧٧
البند الاول: التعليقات النقدية ٧٨
البند الثاني: راسل والمدرسة الواحدية المحايدة ٨١
الفصل الرابع: مدرسة علم النفس الشرطي (الاتجاه الماركسي) ٨٥
١ـ مفهوم الاقتران الشرطي ٨٧
٢ـ النظام الاشاري الاول ٩٢
٣ـ النظام الاشاري الثاني ٩٤
ملحق ٩٨
النتائج الفلسفية ١٠٠
تقويم النظرية ١٠١
س١ ـ كيف يكون الكلام وعاءً مادياً للفكر وهو ١٠٢
س٢ـ الذاكرة، كيف تفسرها المدرسة الماركسية بانها ١٠٣
س٣: هل نجد في ابحاث بافلوف ما هو تطبيق لقانون الديالكتيك؟ ... ١٠٤
س٤ـ كيف تستطيع ان تفهم تنامي المعرفة البشرية ١٠٦
س٥ـ كيف يتم فهم العلاقة بين الافكار والمعاني ١٠٧
س٦ـ كيف يكون للفكر تاثيره في الحياة الاجتماعية بشكلٍ عام؟ ١٠٨
س٧ـ لماذا كانت صورة الادراك الحسي عند الحيوان مادية بحتة؟ ١١٠
س٨ـ التطابق التام بين محتوى الانعكاس والواقع المادي ١١١

www.ketab.ir

س٩ـ اعترفت مدرسة بافلوف بان الفكر ليس مادة يفرزها ١١٢
واخيراً..... ١١٢
الفصل الخامس: صياغة نظرية الادراك حسب تصورات البحث ١١٥
الفقرة الاولى: دراسة مفردات ظاهرة الادراك..... ١١٨
١ـ السمع..... ١٢٠
٢ـ البصر..... ١٢١
٣ـ الذاكرة..... ١٢٢
٤ـ العمليات العقلية العليا ١٢٣
تنبيه ١٢٤
الفقرة الثانية: تفسير ظاهرة الادراك البشري ١٣١
تمهيد..... ١٣١
برهانٌ ١٣٢
فذلكة الموقف ١٣٩
نتائج الموقف ١٤٠
ملحق توضيحي ١٤٣
مصادر البحث..... ١٤٥

مدخل منهجي لدراسة النظرية التربوية في الاسلام ١٤٩
تمهيد ١٤٩
الصنف الاول: الدراسات المخلصة..... ١٥٥
الصنف الثاني: الدراسات التحريفية..... ١٥٦

www.ketab.ir

المنهج الاول ١٥٧
المنهج الثاني ١٥٧
مصادر النظرية التربوية في الاسلام ١٥٩
الموقف من نظريات علماء الاسلام ١٦٢
المعاصرة والاصالة ١٦٣

ماذا جاء حول «فلسفتنا»؟! ١٦٩
مسألة العام والخاص ١٧٨
حركة الفكر من العام الى الخاص ١٧٨
تحت عنوان (ما هو دور الفلسفة؟) ١٩٣
النموذج الاول ١٩٩
النموذج الثاني ٢٠٠
في أي شيء لا تشك يا سيد ماجد؟ ٢٠٠

مدخل نقدي لدراسة الفكر الوجودي وفلسفة كارل ياسپرز ٢٠٣
مدخل عام ٢٠٣
١ـ موقع الوجودية في تيار الفلسفة بوجه عام ... ٢٠٤
٢ـ كارل ياسپرز الوجودي الفيلسوف ٢٠٨
أ ـ مفهوم الفلسفة والبحث الفلسفي عند كارل ياسپرز ٢٠٨
ب ـ المعرفة لدى ياسپرز ٢٠٩
جـ ـ (الله) في فلسفة ياسپرز ٢١٠

www.ketab.ir

د ـ العقل العملي في نظر ياسبرز ٢١٠
٣ـ المشكلة الأساسية في تفكير كارل ياسبرز ٢١٠
بين يدي الكتاب..... ٢١٩
لماذا اخترت هذا الكتاب؟ ٢٢٠
اللقاء الأول: ما هي الفلسفة؟..... ٢٢٢
خلاصة اللقاء ٢٢٢
التقييم ٢٢٣
اللقاء الثاني: أصول الفلسفة ٢٢٤
خلاصة اللقاء ٢٢٤
التقييم ٢٢٤
اللقاء الثالث: الشامل..... ٢٢٦
خلاصة اللقاء ٢٢٦
التقييم ٢٢٧
اللقاء الرابع: فكرة الله..... ٢٢٩
خلاصة اللقاء ٢٢٩
التقييم ٢٣٠
اللقاء الخامس: المطلب المطلق ٢٣٣
خلاصة اللقاء ٢٣٣
التقييم ٢٣٤
اللقاء السادس: الانسان ٢٣٥
خلاصة اللقاء ٢٣٥

www.ketab.ir

الموقف من المعرفة التصديقية ٣٥٤
ثالثاً: حدود المعرفة ٣٥٥
الملحق رقم (١) الادراك البشري ٣٥٦
الملحق رقم (٢) تقويم شامل للمرحلة الاولى من المقارنة ٣٥٨
المعرفة البشرية في ضوء المذهب الذاتي ٣٦٦
١ـ قيمة المعرفة ٣٦٦
٢ـ مصدر المعرفة ٣٦٨
٣ـ حدود المعرفة ٣٦٩
الوجدان والعرفان ٣٧٠

أصالة الوجود عند صدر الدين الشيرازي ٣٧٧
مسالة أصالة الوجود ٣٨٧
مقدمة ٣٨٧
اصالة الوجود ٣٩٠
إيضاح وتحقيق ٣٩٢
تحقيق ٣٩٢
الفرق بين مذهب حكماء المشّاء ومذهب صدر المحققين ٣٩٥
الدليل على التشكيك الخاصّي السنخيّة بين العلّة والمعلول ٣٩٩
أشكال السنخية بين العلة والمعلول: ٤٠٠
الفرق بين اتجاه الحكماء المتالهين والعرفاء المحققين ٤٠٢
شارقة ربوبية ٤٠٥

www.ketab.ir